التجسيم والمجسمة

وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية

عبد الفتاح بن صالح قُدَيش اليافعي

مركز الخيرات للدراسات والنشر

الطبعة الثانية
1439هـ - 2018م

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

مركز الجزات

للدراسات والنشر

اليمن - صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى أحبتي طلبة العلم

إلى الباحثين عن الحقيقة

إلى من الحكمة ضالتهم

إلى من الحق مبتغاهم

إلى المتجردين

إلى المنصفين

أهدي هذا البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث : الحق أحق أن يتبع

❖ ١- من الكتاب :

١-قال الله تعالى :

﴿ ... وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ سورة البقرة - الآية : (٢١٣) .

٢-وقال الله تعالى :

﴿ ... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ سورة يونس - الآية : (٣٥-٣٦).

❖ ٢- من السُّنَّة :

١-روى مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٤): (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان نبي الله ﷺ (*) إذا قام من الليل افتتح صلاته : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) اهـ.

٢-وروى الترمذي في سننه (٤/ ٣٦٤): عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله

*) التزمت في بحثي هذا الصلاة على الآل مع الصلاة على النبي ﷺ لأمره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في الصلاة

ﷺ : (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم **إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا**) اهـ .

❖ ٣-من أقوال أهل العلم :

-في (**صحيح البخاري**) (**١/ ٢٤٦**): عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه: دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال : **إذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم**) اهـ .

-وفي (**صفة الصفوة**) (**١/ ٤٨٢**): عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : (**ما أوردت الحق والحجة على أحدٍ فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني**) اهـ .

-**وقال حجة الإسلام الغزالي في (المنقذ من الضلال) ص (٤١)** : (علمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية) اهـ .

-**وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتابه (القائد إلى تصحيح العقائد) ص(١٣):**

الوجه الثالث: [يعني من أوجه رد الحق] الكبر :

(يكون الإنسان على جهالة أو باطل، فيجيء آخر فيبين له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه، بأنه ناقص وأن ذلك الرجل هو الذي **هداه، ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بَيَّن له**).

الوجه الرابع : الحسد :

(وذلك إذا كان غيره هو الذي بيَّن الحق، فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافاً لذلك المبين بالعلم والفضل والإصابة، فيعظم ذلك في عيون الناس، ولعله يتبعه كثير منهم، **وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل حسداً منه لهم ، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس**) اهـ .

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل

- **في كتاب عمر لأبي موسى رضي الله عنهما** : (لا يمنعك قضاء قضيته ، ثم راجعت فيه نفسك فهديت لرشدك أن تنقضه ، فإن الحق قديم لا ينقضه شيء، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، واعلم أنه من تزين للناس بغير ما يعلم الله شانَهُ الله) رواه الدارقطني والبيهقي اهـ ، (خلاصة البدر المنير) (٢/ ٤٣٥) و(التلخيص الحبير) (٤/ ١٩٦) و(الاستذكار) (٧/ ١٠٣).

-**وفي (تاريخ بغداد)** (١٠/ ٣٠٨): (عن عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا في جنازة فيها عبيدالله بن الحسن وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله، قال: فسألته عن مسألة فغلط فيها ، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا، إلا أني لم أرد هذه إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فاطرق ساعة ثم رفع رأسه **فقال : إذن أرجع وأنا صاغر، إذن أرجع وأنا صاغر ، لَأن أكون ذَنبَاً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل)اهـ** .

ورواها ابن الجوزي في المنتظم (٦/ ٢٩٨) ، وذكر القصة المزي في (تهذيب الكمال) (١٩/ ٢٥) ، وابن كثير في (البداية والنهاية) (١٠/ ١٥١).

- **وفي كتاب الروح لابن القيم ص(١٠)**: (قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق، حدثني علي بن موسى الحداد ، وكان صدوقاً، قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهرى في جنازة ، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة .

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة ، قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، **فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ**) **اهـ** .

-وفي (**طبقات الشافعية**) **الكبرى لابن السبكي** (٨/ ٢١٤): (حكى القاضي عز الدين الهكاري ابن خطيب الأشمونين في مصنف له ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين، **أن الشيخ عزالدين أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه خطأ ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ**) اهـ .

-وفي (**مجموع الفتاوى**) **لابن تيمية** (٢١/ ٥١٦): (لكن قد تبين لغيرهم أن هذه الزيادة وقعت خطأ في الحديث، ليست من كلام النبي ﷺ ، وهذا هو الذي تبيَّن لنا ولغيرنا ، ونحن جازمون بأن هذه الزيادة ليست من كلام النبي، **فلذلك رجعنا عن الإفتاء بها بعد أن كنا نفتي بها أولاً ؛ فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل**) اهـ .

أخي القارئ الكريم :

- قد يكون الحق على خلاف بعض ما ورثناه من آبائنا أو تلقيناه من مشايخنا.
- وقد يكون الحق في صف المغمور لا المشهور، فإبليس -عياذاً بالله منه- فاقت شهرتُه الآفاقَ ، وكم من الأنبياء والمرسلين من لا نعرف أسماءهم، فضلاً عن أخبارهم.
- وقد يكون الحق في صف الصغير لا الكبير، فقد كان ابن عباس مقدماً على الأشياخ (*).

---

*) في (الآداب الشرعية) لابن مفلح (٢/ ١١٠) : فصل في أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن:

- قال الإمام أحمد : بلغني عن ابن عيينة قال: **الغلام أستاذ إذا كان ثقة** .
- وقال علي بن المديني: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني، أحبُّ إليَّ من أن أسأل أبا عاصم وابن داود ؛ **إن العلم ليس بالسن** .
- وروى الخلال من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: قال عمر رضي الله عنه: **إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه، ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء** .
- وقال وكيع : **لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممن هو أسن منه، ومن هو مثله ، ومن هو دونه في السن**، هذه طريقة الإمام أحمد....
- و في(فنون ابن عقيل): وجدت في تعاليق محققة أن سبعة من العلماء مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة، **فعجبت من قصور أعمارهم مع بلوغهم الغاية فيما كانوا فيه!** فمنهم الإسكندر ذو القرنين، وأبو مسلم =

- وقد يكون الحق في صف القليل لا الكثير ، أو الضعيف لا القوي ، أو الفقير لا الغني ...إلخ ، فالحق لا يعرف كثرة ولا قلة ، ولا شهرة ولا خفاء ، ولا صغراً ولا كبراً ، ولا ضعفاً ولا قوة ، ولا غنى ولا فقراً ...إن الحق لا يعرف إلا الحجة والبرهان .

أخي القارئ الكريم :

الحكمة ضالة المؤمن، حيث وجدها أخذها وعمل بها ، ولا ينتظر بذلك إذناً من أمير أو شيخ أو أي أحد... ﴿آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ ، فالحذر الحذر من أن تسلم عقلك لغيرك، بل اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال، قال الإمام الغزالي في (المنقذ من الضلال) ص(٥٢) : (**عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق،** والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال : (**لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله**) ، والعارف العاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول، **فإن كان حقّاً قبله، سواء كان قائله مبطلاً أو محقّاً**) اهـ .

وقال ص (٥٤) : (وهذا وهم باطل، وهو غالب على أكثر الخلق ، **فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وإن كان باطلاً ، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقّاً** ، وهذا غاية الضلال) اهـ .

وقد قال فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ .

=الخراساني ، وابن المقفع، وسيبويه ، وأبو تمام الطائي، وإبراهيم النظام، وابن الراوندي... انتهى كلامه .

- وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً ، وكان وقافاً عند كتاب الله ، رواه البخاري وغيره.
- و(في الصحيحين) :"عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : **كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم** : عبدالرحمن بن عوف.
- قال ابن الجزري في (كشف المشكل): **فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله، وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم.**
- وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل ، فقيل له : **تقرأ على هذا الغلام الخزرجي ؟ فقال :إنما أهلكنا التكبر**) اهـ .

وقيل للطفيل بن عمرو الدوسي: احذر محمداً ولا تستمع له، فإنه سيسحرك و... ولم يزالوا به حتى حشا في أذنيه الكرسف (القطن) ، ولكن .. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما قال له أسيد بن حضير ولصاحبه : ما جاء بكما إلينا، تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، قال له مصعب: **(أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره)** .

وهذه قصة شيقة وذات عبرة في نفس الوقت ، رواها الخطيب البغدادي في (تاريخه) (١٣/ ٣٣٨) بسنده إلى عبد الله بن المبارك قال : قدمت الشام على الأوزاعي فرأيته ببيروت فقال لي: يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟ فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة ، فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل ، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي فقال :

أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها، قال النعمان: فما زال قائماً بعد ما أذن حتى قرأ صدراً من الكتاب ، ثم وضع الكتاب في كمه ، ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها فقال لي : يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟ .

قلت: شيخ لقيته بالعراق، فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه ، قلت : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه) اهـ .

وفي رواية أخرى ذكرها الشيخ الكاندهلوي في (شرحه على الموطأ) (١/ ٨٨) : (أن ابن المبارك قال : ثم التقينا بمكة فرأيت الأوزاعي يجاري أبا حنيفة في تلك المسائل، والإمام يكشف له بأكثر مما كتبت عنه، فلما افترقنا قلت للأوزاعي : كيف رأيته ؟

قال: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله ، وأستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر ؛ الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه)اهـ .

أخي القارئ الكريم:

الفقير مستعد للتواصل مع:

- من يرغب في معرفة المزيد حول الموضوع، أو يستشكل أمراً ورد في البحث .
- أومن يريد أن ينصح ويصحح ويصوب ، وما أحب ذلك إلي إذا كان بآدابه .
- وذلك على عنواني المبين في آخر هذا التقديم.

وأختم هذا التقديم بقول لابن قتيبة يكتب بماء الذهب:

-قال الإمام ابن قتيبة في كتابه (الاختلاف في اللفظ) والرد على الجهمية والمشبهة ص(١٠): (وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة :

- **رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا** ، لا يرعوي ولا يرجع؛ لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر .
- **ورجلاً تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة** ، فليس يرد عزته ولا يثني عنانه إلا الذي خلقه إن شاء ، لأن في رجوعه إقراره بالغلط واعترافه بالجهل وتأبى عليه الأنفة، وفي ذلك أيضاً تشتتُ جمعٍ وانقطاعُ نظام واختلاف إخوان عَقَدْتُهم له النِّحلةُ ، والنفوسُ لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه .
- **ورجلاً مسترشداً يريد الله بعمله ، لا تأخذه فيه لومة لائم** ، ولا تدخله من مفارق وحشة ، ولا تلفته عن الحق أنفة ، **فإلى هذا بالقول قصدنا ، وإياه أردنا**) اهـ .

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي
اليمن - صنعاء
تلفون سيار : 00967/711456608
بريد إلكتروني :
afattah31@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي فاقت عظمتهُ الوصف والتدبر، وكلّت الألسنُ عن تفسير صفته، وانحصرت العقول دون معرفة قدرته، ورَدَتْ عظمتَه العقولُ فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة (*)، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، وأعرفهم بربِّ العالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن الناظر في الخلق – الأقرب إليه كنفسه التي بين جنبيه والأبعد كالأفلاك – لَيعجز عقلُه عن إدراك حقيقته وكنهه، وإذا كان عن إدراك حقيقة الخلق عاجزاً ، فكيف يمكن له أن يدرك حقيقة وكُنْهِ ربِّ الأرباب ومسبِّب الأسباب الملك الوهَّاب؟!!.. (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).

قال إمام الحرمين في الشامل ص(٥٢٧): (إنّ أحداً – من البشر – لو أراد أن يتصور الأرض برحبها براً وبحراً ؛ لما تمثل منها إلا قدراً صغيراً ومبلغاً يسيراً ، وإن أحداً من الأحياء لو فكر في حياته ، وأراد أن يمثلها في فكره ؛ لتمثلت له الحياة شكلاً متشكلاً ، **وهكذا تزل الأوهام عن كثير من المخلوقات، فكيف السبيل إلى أن ندرك بها الربَّ تعالى الذي لا يشبهه شيء ولا يشبهه شيئاً** ؟! فمن صفة الإله تقدُّسه عن التصور، فكيف يستقيم على منهاج الحق من يطلب معرفة من لا يُتصور بالتصوُّر) اهـ.

وقال الرازي في أساس التقديس ص(١٦): (وكذلك الإنسان إذا تأمل في أحوال الأجرام السفلية والعلوية، وتأمل في صفاتها فذلك له قانون، **فإذا أراد أن ينتقل منها إلى**

(*) من كلام ابن الماجشون رواه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٦٤) وغيره.

معرفة الربوبية، وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى وعقلاً آخر ، بخلاف العقل الذي اهتدى به إلى معرفة الجسمانيات) اهـ.

ولذلك قال الصديق الأكبر (رضي الله عنه) : (العجز عن دَرْكِ الإدراك إدراك) .

وقال الشاعر :

لا يعلـــم اللهَ إلا اللهُ فاتـئـدوا والديـن دينـان إيمان وإشـــراك
وللعقـــول حـدودٌ لا تجاوزهـا والعجزُ عن درك الإدراك إدراك

وقال بعض العارفين : (سبحان من رضى في معرفته بالعجز عن معرفته) (*).

ومن أعجب العجب أنه قد وُجِد في أمة الإسلام قديماً وحديثاً من يقول بالتجسيم في حق الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ، سبحانه ما أحلمه على خلقه وما أصبره ، وعن هؤلاء يقول إمام الحرمين في النظامية ص(١٥) : (إنهم يطلبون ربهم في المحسوسات ، وما يتشكل في الأوهام ، ويتقدر في مجاري الوساوس وخواطر الهواجس، وهذا حيد بالكلية عن صفاته الإلهية، فأي فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية ؟! **إنه لو اجتمع الأولون والآخرون على أن يدركوا الروح – وهي خلق الله تعالى – بهذا المسلك ؛ لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فإنه معقول غير محسوس** ، وقد قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء :٨٥) اهـ.

(*) قول أبي بكر أيضاً في الإحياء (٤/ ٢٥٢) وشرح سنن النسائي للسيوطي (١/ ١٠٣)، وفي فيض القدير للمناوي (٦/ ١٨١) : (سئل الصديق : بم عرفت ربك؟ قال : عرفت ربي بربي ، فقيل : هل يمكن لبشَر أن يدركه؟ فقال : العجز عن درك الإدراك إدراك ، وسئل مصباح التوحيد وصباح التغريد علي كرم الله وجهه : بم عرفت ربك؟ قال : بما عرَّفني به نفسه ، لا يُدْرَك بالحواس ، ولا يُقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قربه)اهـ.

وفي مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٢١٦) : (العجز عن درك الإدراك إدراك) هذا الكلام مشهور نسبته إلى أبي بكر الصديق، وهذا اللفظ لم يحفظ عن أبي بكر، ولا هو مأثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب (الشكر) نحواً من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل عنه إرسالاً من جهة من يكثر الخطأ في مراسيلهم) اهـ.

والسبب الذي أوقعهم فيما وقعوا فيه هو قياسهم الغائب على الشاهد، قال الآمدي في غاية المرام ص(١٨٥): (إنه -جلَّ وتعالى- لا ينبغي أن يكون مقيساً بالأشباه والنظائر ، **وما جاء التشبيه إلا من جهة الوهم ؛ بإعطاء الغائب حكم الشاهد ، والحكم على غير المحسوس بما حكم به على المحسوس**) اهـ.

وما أجمل ما قاله الإمام ابن خلدون في مقدمة تاريخه (١/ ٥٨٠): (**واعلم أن الوجود عند كل مدرِك في بادئ رأيه منحصر في مَداركه لا يَعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك، والحق من ورائه**، ألا ترى الأصمَّ كيف ينحصر الوجودُ عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ، ويَسقطُ من الوجود عنده صنفُ المسموعات .

وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنفُ المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك من تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة، لَمَا أقرُّوا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم .

ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فلعل هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا؛ لأن إدراكاتنا مخلوقة محدَثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس .

والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقاً من ذلك، والله من ورائهم محيط، فاتَّهم إدراكك ومدركاتك في الحصر، واتبع ما أمرَك الشارعُ به من اعتقادك وعملك، فهو أحرصُ على سعادتك، وأعلمُ بما ينفعك، لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، **غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال .**

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته؛ فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه .

وتفطن في هذا غلط من يقدِّم العقلَ على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه؛ فقد تبيّن لك الحق من ذلك، وإذ تبين ذلك فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا، خرجت عن أن تكون مدركة، فيضل العقل في بيداء الأوهام ويحار وينقطع .

فإذا التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيرها وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها؛ إذ لا فاعل غيره، وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته، وعلمنا به إنما هو من حيث صدورنا عنه لا غير، وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين: العجز عن الإدراك إدراك)اهـ.

لأجل ذلك أعددت هذا البحث في بيان حقيقة عقيدة السلف الصالحين في صفات ربِّ العالمين، وخصوصاً في مسألة التجسيم ولوازمه وما يتبع ذلك من مسائل في التجسيم، ومما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو أنني رأيت كثيراً من الناس ينسبون إلى السلف الصالح القول بالتجسيم وإثبات الجوارح والأجزاء والأبعاض – لفظاً أو معنى – لله رب العالمين تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

وعليه فإن جلَّ اهتمامي في البحث هو إثبات أن عقيدة السلف هي تنزيه الله تعالى عن الجسمية ولوازمها ، وأنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، ومن ثم حاولت جاهداً أن أذكر أقوال السلف وأقوال من يسلكون مسلك السلف في الصفات الإلهية، لأن هؤلاء يرتضيهم ويقبل أقوالهم من ينسب إلى السلف القول بالتجسيم ولوازمه.

هيكلــة البحــث

وقد قسمت البحث إلى :

مقدمـــة.

وتمهيد : في ذكر معنى الجسم لغة واصطلاحاً وتحرير محل البحث.

وستة فصول :

الفصل الأول : في ذكر أقوال الأئمة في نفي الجسمية ولوازمها عن الله تعالى

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في أقوال السلف ومن عرف بطريقة السلف .

والمبحث الثاني : في أقوال من عرف بطريقة الخلف .

والفصل الثاني : في أدلة مذهب السلف من النقل والعقل، والجواب عن الشبهات

وفيه مباحث :

المبحث الأول : في أدلة الشرع .

المبحث الثاني : في أدلة العقل .

والمبحث الثالث : في الشبهات والجواب عنها .

والفصل الثالث : بين التجسيم والتفويض والتأويل.

وفيه مباحث :

المبحث الأول : في التفويض .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : في أصناف أهل التفويض .

والمطلب الثاني : في أقول الأئمة في التفويض .

والمطلب الثالث : في مرجحات مذهب التفويض .

والمبحث الثاني : في التأويل.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أصناف أهل التأويل .

والمطلب الثاني : مرجحات مذهب التأويل .

والمطلب الثالث : اعتراضات على مذهب التأويل .

والمبحث الثالث : في المقارنة والتوفيق بين التفويض والتأويل .

والمبحث الرابع : في أن الجميع أهل سنة.

والفصل الرابع: في ذكر كيف دخل التجسيم إلى الأمة ؟

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : دور الإسرائيليات في التجسيم .

المبحث الثاني : دور الجهل وسوء الفهم والغفلة والمندسين في ذلك .

والفصل الخامس : في ذكر بعض المجسمة وبعض من رموا بالتجسيم وبعض مقالاتهم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المجسمة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بعض الطوائف المجسمة.

المطلب الثاني : بعض الأشخاص المجسمين.

والمبحث الثاني : من رُموا بالتجسيم من طوائف وأشخاص .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : من رُموا بالتجسيم من الطوائف.

المطلب الثاني : بعض من رُموا بالتجسيم من الأشخاص .

والفصل السادس : في حكم التجسيم والمجسمة في المذاهب الأربعة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : حكم التجسيم عند الحنفية .

والمبحث الثاني : حكم التجسيم عند المالكية .

والمبحث الثالث : حكم التجسيم عند الشافعية .

والمبحث الرابع : حكم التجسيم عند الحنابلة .

ثم الخاتمة وقائمة المراجع والفهارس .

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي
الدوحة - قطر
١٩ / صفر / ١٤٢٦ هـ
تلفون سيار : ٠٠٩٦٧/٧١١٤٥٦٦٠٨ (اليمن)
بريد إلكتروني : afattah31@hotmail.com

التمهيـــد

في معنى الجسم لغة واصطلاحاً وتحرير محل البحث

▪ معنى الجسم لغة

قال الجوهري في مختار الصحاح (١/ ٤٤): مادة جسم : (أبو زيد : الجِسْمُ: الجسد، وكذا الجُسْمانُ و الجُثْمانُ ، وقال الأصمعي : الجسم والجسمان: الجسد ، والجثمان: الشخص، وقال جماعة: جسم الإنسان أيضاً يقال له الجسمان ، مثل ذئب وذُؤبان ، وقد جَسُمَ الشيء ، أي: عظُم فهو جَسِيمٌ و جُسَامٌ بالضم) اهـ.

وقال ابن منظور في لسان العرب (١٢/ ٩٩) : (مادة جسم : الـجِسْمُ : **جماعة البَدَنِ أَو الأَعضاء من الناس والإِبل والدواب وغيرهم** من الأَنواع العظيمة الـخَـلْق) اهـ.

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٥٧): (الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء ، **فالجسم كل شخص مُدْرَك ، كذا** قال ابن دريد ، والجسيم: العظيم الجسم ، وكذلك الجسام ، **والجُسْمان : الشخص**) **اهـ** .

وفي المصباح المنير للفيومي (١/ ١٠١) : (الجِسْمُ) قال ابن دريد : **هو كلّ شخص مدرك** ، وقال أبو زيد (الجِسْمُ) الجسد ، وفي التهذيب ما يوافقه قال: (الجِسْمُ): **مجمع البدن وأعضاؤه من الناس و الإبل والدواب** ونحو ذلك مما عظم من الخلق) اهـ .

وفي تاج العروس (١/ ٧٦٤٨) : (الجسم بالكسر : **جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وسائر الأنواع** العظيمة الخلق كالجُسمان بالضم .

قال أبو زيد: الجسم الجسد **وكذلك الجسمان والجثمان: الشخص** ويقال: إنه لنحيف الجسمان وقال بعضهم: إن الجثمان والجسمان واحد .

وقال **الراغب: الجسم ماله طول وعرض وعمق** ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً وإن قطع وجزئ ، بخلاف الشخص فإنه يخرج عن كونه شخصاً بتجزئه) اهـ.

والخلاصة :

أن الجسم في اللغة يدل على التجمع والتركيب والتأليف والتشخص والأبعاد ، وقد يُعبَّر عن الجسم بالجوهر إذ هما بمعنى واحد ، إلا أن الجسم أخص اصطلاحاً لأنه المركب من الجواهر، قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٤٨): (الجوهر: ماله قيام بذاته، بمعنى أنه: لا يَفْتقر إلى مَحَلٍّ يقوم به، والعَرَض: ما يفتقر إلى محل يقوم به ، **وقد يُعبِّر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام**، وعليه جرى المصنف، وهما في اللغة بمعنى ، وإن كان الجسم أخص من الجوهر اصطلاحاً ؛ لأنه المؤلَّف من جوهرين أو أكثر ، على الخلاف في أقل ما يتركب منه الجسم على ما بُيِّن في المطوَّلات ـ والجوهر يصدق بغير المؤلف وبالمؤلّف) اهـ.

■ معنى الجسم اصطلاحاً

في التعريفات للجرجاني (١/ ١٠٤): (**الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة** (أي الطول والعرض والعمق) وقيل: الجسم هو المركب المؤلَّف من الجوهر .

الجسم التعليمي : هو الذي يقبل الانقسام **طولاً وعرضاً وعمقاً** ، ونهايته السطح وهو نهاية الجسم الطبيعي، ويسمى جسماً تعليمياً إذ يبحث عنه في العلوم التعليمية، أي: الرياضية الباحثة عن أحوال الكَمِّ المتصل والمنفصل، منسوبة إلى التعليم والرياضة، فإنهم كانوا يبتدؤون بها في تعاليمهم ورياضتهم لنفوس الصبيان لأنها أسهل إدراكاً) اهـ.

وفي التعاريف للمناوي (١/ ٢٤٥) : (**الجسم : ما له طول وعرض وعمق**، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً وإن قطع وجزِّىء ، بخلاف الشخص فإنه يخرج عن كونه شخصاً بتجزئته ، كذا عبر عنه الراغب ...) اهـ.

وفي مقالات الإسلاميين ص(٣٠١) وما بعدها : (اختلف المتكلّمون في الجسم ما هو ، على اثنتي عشرة مقالة :

١- **فقال قائلون** : الجسم هو ما احتمل الأعراض ، كالحركات والسكون وما أشبه ذلك، فلا جسم إلا ما احتمل الأعراض ولا ما يحتمل أن تحل الأعراض فيه إلا جسم، وزعموا أن الجزء الذى لا يتجزأ جسم يحتمل الأعراض، وكذلك معنى الجوهر أنه يحتمل الأعراض، وهذا قول أبي الحسين الصالحي ...

٢- **وقال قائلون** : الجسم إنما كان جسماً للتأليف والاجتماع، وزعم هؤلاء أن الجزء الذى لا يتجزأ إذا جامع جزءاً آخر لا يتجزأ ، فكل واحد منهما جسم في حال الاجتماع، لأنه مؤتلف بالآخر، فإذا افترقا لم يكونا ولا واحد منهما جسماً، وهذا قول بعض البغداديين وأظنه عيسى الصوفى.

٣- **وقال قائلون** : معنى الجسم أنه مؤتلف، وأقل الأجسام جزءان، ويزعمون أن الجزءين إذا تألَّفا فليس كل واحد منهما جسماً، ولكن الجسم هو الجزءان جميعاً ، وأنه يستحيل أن يكون التركيب في واحد ، والواحد يحتمل اللون والطعم والرائحة وجميع الأعراض إلا التركيب وأحسب، هذا القول للإسكافى ...

٤- **وقال أبو الهذيل** : الجسم هو ما لَه يمين وشمال، وظهر وبطن، وأعلى وأسفل، وأقلُّ ما يكون الجسم ستة أجزاء أحدهما يمين والآخر شمال، وأحدهما ظهر والآخر بطن، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ...

٥- **وزعم بعض المتكلمين** : أنه الجزءان اللذان لا يتجزءان يحلهما جميعاً التأليف وأن التأليف الواحد يكون في مكانين، وهذا قول الجبائى.

٦- **وقال معمر** : هو الطويل العريض العميق، وأقل الأجسام ثمانية أجزاء، فإذا اجتمعت الأجزاء وجبت الأعراض، وهي تفعلها بإيجاب الطبع، وأن كل جزء يفعل في نفسه ما يحله من الأعراض، وزعم أنه إذا انضمَّ جزء إلى جزء حدث طول، وأن العرض يكون بانضمام جزءين إليهما ، وأن العمق يحدث بأن يطبق على أربعةِ أجزاء أربعةُ أجزاء ، فتكون الثمانية الأجزاء جسماً عريضاً طويلاً عميقاً .